صفات المنافقين أثناء الحروب
كما جاءت في القرآن الكريم

للدكتورة مديحة بنت إبراهيم بن عبدالله السدحان(١)

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ إلينا فانقسم الناس تجاه دعوته إلى ثلاثة أقسام: مؤمن به، وكافر معاند، ومنافق آمن بلسانه وكفر بقلبه، فهو يتظاهر بالإسلام لكن أقواله وأعماله تضاد الإسلام وأحكامه.

وهذا الصنف الثالث هو العدو الحقيقي الذي حذرنا الله منه قال

---

(١) أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية كلية التربية للبنات بالرياض.

تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾(١)، فحصر العداوة فيهم لبيان أولويتهم في هذه العداوة، ولهذا وجب على المسلمين جميعًا أن يجعلوهم أول اهتماماتهم، وأن يعلموا أن من أعظم الواجبات عليهم مجاهدتهم؛ لأنهم أخطر مصيبة حلت بالمسلمين قديمًا وحديثًا، والمتأمل للتاريخ يجد للمنافقين دورًا خطيرًا في كل عصر من عصوره خاصة في أزمنة الحروب؛ فخياناتهم وتعاونهم مع أعداء المسلمين المحاربين يشهد لها التاريخ، وسنة الله ماضية في استمرار الحروب بين أهل الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾(٢)، فأعداء الله لا يألون جهدًا في حرب الإسلام وأهله، وأمة الإسلام وبفضل الله لم تزل وستستمر بحول الله في مدافعة ما يكاد لها مما يخططه أعداؤها ومن يوالونهم من المنافقين، لكن طبيعة عمل هؤلاء المنافقين وهو الخيانة يستلزم التخفي والتستر فهم يفسدون سرًا ويظهرون الإسلام والإصلاح، ولهم براعة في الكلام إن يقولوا تسمع لقولهم، لهذا كان من الواجب التحذير منهم وكشف أستارهم، وبيان صفاتهم حتى يُعرفوا بها، وبخاصة تلك الصفات التي تعرف بها عقائدهم ونفاقهم أثناء الحرب، ولطول الموضوع اكتفيت بما جاء من ذلك في

---

(١) سورة المنافقون، الآية (٤).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

القرآن الكريم لأهميته وتأكد الاعتناء به في كل زمان، وبخاصة في هذا الزمان لأمور منها:

١- ما تمر به الأمة اليوم من أخطار وحروب، وما يعصف بها من أحداث وفتن كقطع الليل، يعمي الإنسان فيها أن يسمع ويرى الحق إذا لم يكن معه علم شرعي يخرج منه بفقه ما ينبغي عليه عمله، ويأخذ العبر والعظات من التاريخ، فإذا قامت الحرب كان المسلم المجاهد قد تهيأ بعلم شرعي وعسكري، يعرف به هؤلاء المنافقين ويحذرهم.

٢- علو أهل الباطل في كثير من المجالات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية مما يسهل دخول كثير من المنافقين ضمن جند المسلمين.

٣- التقدم التقني الهائل والسريع الذي يساعد الخائن ويسهل أمره والأعين قلما تراقبه.

٤- سذاجة بعض المؤمنين، وسرعة تقييمهم للأشخاص بمجرد ما يرونه من ظاهرهم.

ولهذا رأيت أن الكتابة في هذا الموضوع من أهم المهمات، أسأل الله أن يجعلني ممن تفقه في دينه لينذر قومه لعلهم يحذرون، وحسب علمي فإني لم أجد أحدًا كتب في هذا الموضوع بهذه الصورة وأفرده مع شدة الحاجة إليه.

خطة البحث:

أتبعت هذه المقدمة بتقسيم البحث إلى فصلين وخاتمة.

الفصل الأول: تعريف النفاق، وأنواعه، وخطورته وأسبابه، وأشهر صفات المنافقين إجمالاً، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف النفاق لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أنواعه.

المبحث الثالث: خطورته.

المبحث الرابع: أسبابه.

المبحث الخامس: أشهر صفات المنافقين إجمالاً.

الفصل الثاني: صفات المنافقين أثناء الحرب، وفيه سبعة مباحث هي:

المبحث الأول: الصفة الأولى الانسحاب من المعركة والرجوع.

المبحث الثاني: الصفة الثانية، ظهور علامات الفرح عليهم بعد تخلفهم عن الحرب.

المبحث الثالث: الصفة الثالثة، عدم المشاركة في القتال مع خروجهم مع الجيش، أو القتال قليلاً.

المبحث الرابع: الصفة الرابعة، السعي بالفتنة بين جنود المسلمين لا يألونهم خبالاً.

المبحث الخامس: الصفة الخامسة، تجريح القيادة، ونسبة ما يصيب المسلمين من سيئة لسوء تصرفها.

المبحث السادس: الصفة السادسة، الخوف والجبن.

المبحث السابع: الصفة السابعة، موالاة الكفار.

الخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

هذا والله أسأل أن يؤلف بين قلوب المؤمنين، ويجعلهم يدًا واحدة على أعدائهم، وأن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

الفصل الأول: تعريف النفاق، وأنواعه، وخطورته، وأسبابه، وأشهر صفات المنافقين إجمالاً

وفيه إجمالاً، خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف النفاق لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أنواعه.

المبحث الثالث: خطورته.

المبحث الرابع: أسبابه.

المبحث الخامس: أشهر صفات المنافقين إجمالاً.

المبحث الأول: تعريف النفاق لغةً واصطلاحًا:

النفاق في اللغة:

النفاق فعل المنافق يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا، أما أصله فقد اختلف فيه على قولين، فقيل: إنه مأخوذ من النفق؛ لأن المنافق

يستر كفره، فهو كمن يدخل النفق يستتر فيه.

وقيل: إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع أي جحره، فإنه يخرق الأرض حتى إذا كاد أن يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، فإذا رابه ريب دفع تلك القشرة برأسه فخرج، ومنه اشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء. وظاهر جحر اليربوع تراب كالأرض وهو في الحقيقة حفرةٌ. وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر(١).

النفاق في الاصطلاح:

هو ستر الكفر وإظهار الإسلام.

وقد يسمى المنافق زنديقًا كما يفعله بعض الفقهاء(٢). وقد يسمي النفاق الاعتقادي وهو النفاق الأكبر كما سيأتي.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٥٤ و٤٥٥)، والنهاية لابن الأثير (٥/٩٨)، ولسان العرب (٨/٤٥٠٨)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١١٩٦) مادة (نفق).

(٢) انظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٧/٤٧١)، وطريق الهجرتين لابن القيم (٣٧٤).

المبحث الثاني: أنواع النفاق

ينقسم النفاق إلى نوعين:

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو النفاق الاعتقادي، أي في أصل الدين، وهو مخرج من الإسلام، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وعامة الآيات القرآنية يقصد بها هذا المعنى(١).

والثاني: النفاق الأصغر، وهو النفاق العملي أي النفاق في فروع الدين، وهو دون الكفر، لكنه اختلاف بين السريرة والعلانية(٢)، فمن أظهر أنه صادق أو موفٍ أو أمين، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقًا، لا أن يبطن في قلبه كفرًا وشكًا وتكذيبًا يخفيه عن الناس، ويظهر إسلامًا لا حقيقة له. وهذا النوع من النفاق جاءت به السنة. والأصل فيه ما ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة - ﷺ - في ذكر آية المنافق فعن أبي هريرة - ﷺ - عن النبي

---

(١) انظر: النفاق وأثره، د. عادل الشدي ص(٤٦).

(٢) أشار إلى هذا الاختلاف في أنواع النفاق أبوبكر بن العربي في أحكام القرآن (٢/٩٨٣)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/٥٢٤)، و(١١/١٤٠ و١٤٣)، وابن القيم في مدارج السالكين (١/٣٧٦)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٧٥)، وابن حجر في فتح الباري (١/٨٩)، وهو مروي عن الحسن البصري ذكر ذلك الترمذي في سننه، كتاب الإيمان (٥/٢٠).

ﷺ أنه قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان))(١).

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: ((أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر))(٢).

فهذه كلها أعمال إذا كان فاعلها مؤمنًا بالله وحده، قد سلم اعتقاده مما يخرجه من الدين، فنفاقه نفاق أصغر، وهذه الخصال قد توجد في المسلم الصادق الذي ليس فيه شك. قال النووي ـ رحمه الله ـ عند شرح هذا الحديث: ((وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقًا بقلبه ولسانه، وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار، فإن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ جمعوا هذه الخصال))(٣)، وهذا النفاق الأصغر هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم(٤).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان (٨٩/١)، ومسلم في كتاب الإيمان (٧٨/١) رقم (٥٩).

(٢) رواه البخاري في الإيمان (٨٩/١)، ومسلم في الإيمان (٧٨/١)، رقم (٥٨).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٤٦/٢ و٤٧).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢٨/٧)، وفتح الباري (١١١/١).

قال ابن أبي مليكة⁽¹⁾ (ت١١٧هـ): أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه⁽²⁾، قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ): «والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبوهريرة...، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص. وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى ـ رضي الله عنهم ـ»⁽³⁾.

فخوفهم كان من النفاق الأصغر لا الأكبر، لأنه لا يعقل أن يكون النفاق الذي خافه أولئك الصحابة هو إبطان الكفر، فإنهم يعلمون من أنفسهم أنهم لا يبطنون كفرًا، وقد زكاهم الله وأثنى عليهم، فهم يعلمون براءتهم من هذا النفاق المخرج من الإسلام، فتعين أن يكون مقصودهم النفاق الأصغر.

---

(١) هو عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة مكي تابعي ثقة رأى ثمانين من الصحابة، ولاه ابن الزبير -رضي الله عنه- قضاء الطائف، وكان مؤذنًا له، من العباد الزهاد، روى عن جماعة من الصحابة وكان كثير الحديث. توفي سنة (١١٧هـ).
انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣١٤/٩)، وتهذيب التهذيب (٣٠٦/٥).

(٢) رواه البخاري معلقًا في صحيحه كتاب الإيمان (١٠٩/١).

(٣) فتح الباري (١١٠/١ و١١١).

المبحث الثالث: خطورة النفاق:

إن أكبر خطر تهددت به الأمة الإسلامية على مر العصور هو النفاق، ولذلك قال الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾(١)، والحصر في الآية لبيان أولويتهم في العداوة، ولهذا كان مصيرهم يوم القيامة أسوأ مصير في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم شر من الكفار الصُّرَح، فبلية المؤمنين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين؛ لأنهم لا يظهرون ما يعتقدون، يعملون في الخفاء، ويظهرون لباس الإخوان والأصدقاء فهم مستأمنون لا يحسب لهم حساب ولا يراقبون ولا يحترز منهم إلا القليل من المؤمنين، والعدو المخالط المداخل المساكن أخطر وأشد كيدًا من العدو الظاهر البعيد، فهم أخطر من الجيوش العسكرية، والانحرافات الفكرية لأن أصحابها أعداء معروفون واضحون لا يقبل كثير من الناس أقوالهم.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان»(٢).

---

(١) سورة المنافقون، الآية (٤).

(٢) رواه أحمد (٢٢/١)، والفريابي في صفة النفاق ص(٥٢) رقم (٢٣ و٢٤)، وابن حبان في صحيحه (١٤٨/١)، والطبراني في الكبير (٢٣٧/١٨)، قال الهيثمي في الزوائد (١٩٢/١): «رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح». وذكر نحوه عن البزار وأحمد وأبي يعلى وقال: «رجاله موثقون». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤/٢) رقم (١٥٥٠).

وصدق رسول الله ﷺ فإن أخطر المصائب في تاريخ الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا عن طريق المنافقين، ولا نكاد نرى عصرًا من عصور تاريخ المسلمين إلا ونجد للمنافقين فيه دورًا خطيرًا، فقد أفسدوا عقائد كثير من الناس، والمتتبع لجذور الانحراف العقدي في تاريخ المسلمين يجد المنافقين وراءه، ومن أبرز الأمثلة في ذلك فرقة السبئيّة التي وضع أسسها المنافق اليهودي عبدالله بن سبأ، الذي أظهر الإسلام في عهد عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ وأخذ يطوف البلاد الإسلامية ينشر معتقده، وقد لبَّس على العامة في زمن كان فيه كثير من الصحابة، حتى إن بعض أتباعه هددهم عليٌّ ـ ﷺ ـ بالموت حرقًا إن لم يرجعوا عن هذه العقيدة الضالة، فأصروا وفضلوا الموت على الرجوع عن ضلالهم، وقد كان من نتيجة فتنة عبدالله بن سبأ مقتل الخليفة الثالث الراشد عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ(١).

وكان سقوط بغداد مركز الخلافة الإسلامية العباسية عام (٦٥٦هـ) على يد المنافق الخبيث ابن العلقمي الرافضي الذي تعاون مع التتار الذين قتلوا جميع من يقدرون عليه من الرجال والنساء والولدان

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢٥)، والفصل لابن حزم (٢/٢٧٤)، ومختصر منهاج السنة لابن تيمية اختصره عبدالله الغنيمان (١/١٣)، وفتح الباري (١٢/٢٧٠).

والمشايخ والشبان حتى بلغوا مليون قتيل، وقد كان ابن العلقمي وزيرًا عند الخليفة المستعصم يظهر الولاء والنصرة، له فضل في الإنشاء والأدب لكنه كان منافقًا يضمر الحقد على الإسلام وأهله، كاتب التتار وزين لهم اجتياح بغداد، وكان ذلك بعد أن سرح الجند وصرف الجيوش عن بغداد حتى لم يبق منهم إلا عشرة آلاف ثم أرسل إلى التتار يسهل عليهم أمر اجتياح المدينة فقدموا وحدث ما حدث(١).

والأمثلة كثيرة جدًا ولهذا كان الواجب التحذير من النفاق، وبيان صفات أهله، وكشف جهودهم في هدم الإسلام وخدمة أعدائه وموالاتهم وتنفيذ مخططاتهم.

المبحث الرابع: أسباب النفاق:

المنافق كافر في الباطن يستتر بالإسلام، وتظاهره بالإسلام له أسباب كثيرة ترجع إلى حب الشهوات أو تأثير الشبهات ، فشهوة حب الحياة والخوف على أنفسهم من القتل أو السبي، والخوف على المنصب والرياسة والجاه والزعامة تجعله ينافق، وكذلك شهوة حب حظوظ الدنيا والطمع في الغنائم إذا انتصر المسلمون في حروبهم، أما الشبهات فإن بعض المنافقين كان أول أمره مؤمنًا لكن الإيمان لم يخالط بشاشة قلبه، يعبد الله على شفا جرف هارٍ، فإذا جاءت فتنة أو حلَّت

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٢٠٠ وما بعدها).

بالمؤمنين نكبة نافق، ولهذا يمكن القول أن أهم أسباب النفاق ما يلي:

أولاً: حب الشهوات ومنها:

أ- حب أنفسهم والخوف عليها من القتل أو السبي.

وهذا السبب يبدو واضحًا في نفاق من نافق بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة وكثرة أتباعه، وانتصاره يوم بدر، فحينئذٍ أصبحت للمسلمين قوة تهاب فظهر النفاق، أما في مكة فلم يكن هناك منافقون لأنهم كانوا يظهرون كفرهم ولا يخشون شيئًا فلما قوي الإسلام وأهله خافوا على أنفسهم من القتل أو الطرد أو السبي.

قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾(١).

قال قتادة: ذكر لنا أن المنافقين كانوا يظهرون ما في أنفسهم من النفاق فلما أوعدهم الله بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه(٢).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) أن المنافقين بعد ظهور الإسلام وذل النفاق وأهله لم يستطيعوا أن يظهروا ما كانوا

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان (٦٠ و٦١).

(٢) قول مقاتل ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢١/١٣)، وقريب منه قوله في تفسير الطبري (٤٨/٢٢)، المجلد (١٢).

يظهرونه من الكفر قبل ذلك قبل بدر وبعدها، وقبل أحد وبعدها، فأخفوا النفاق وكتموه فلهذا لم يقتلهم النبي ﷺ (١).

ب- حب الجاه والرياسة والزعامة والخوف من ضياعها.

قد يكون لبعض المنافقين جاه ورياسة يخاف إن أظهر كفره أن يتفرق عنه أتباعه وأعوانه فيخفيه ويظهر الإسلام، كما فعل عبدالله ابن أبي بن سلول فإنه كان قاب قوسين أو أدنى من الرياسة في قومه، ثم تفاجأ بقدوم النبي ﷺ إلى المدينة سيدًا فيها وحاكمًا لها، فكان هذا ما حمله على النفاق في مبدأ الأمر.

جـ- حب حظوظ الدنيا والطمع في الغنائم:

من المنافقين من يكون سبب نفاقه حب الدنيا والطمع في الغنائم، ولهذا نراهم يخرجون مع رسول الله ﷺ ثم لا يقاتلون، ومنهم من لا يخرج وإذا رجع رسول الله جاء معتذرًا طمعًا في عطاء رسول الله ﷺ ورضاه عنه. فهم لحبهم للدنيا يؤملون الغنائم وقد ذكر الله سبحانه صفتهم هذه في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٢٠)، (٧/٢١٤ و٢١٥)، ومختصر منهاج السنة (١/٩١).

(٢) سورة التوبة، آية (٤٢).

وقد كان هذا في غزوة تبوك لما رأى المنافقون شدة الحر وبعد المسافة تخلفوا عن رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية موبخًا لهم، مبينًا أن السفر لو كان قريبًا سهلاً، والغنيمة قريبة المتناول حاضرة، لخرجوا معك أما قولهم لما جاءوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ فهو مجرد كذب لأنهم كانوا مستطيعين(١).

ولما رجع المسلمون من غزوة بني المصطلق(٢) فقدت راحلة رسول الله ﷺ فسعى لها الرجال يلتمسونها، فقال رجل من المنافقين كان في رُفقةٍ من الأنصار: أين يسعى هؤلاء؟ قال أصحابه: يلتمسون راحلة رسول الله ﷺ ضلّت، فقال المنافق: أفلا يحدثه الله بمكان راحلته؟ فأنكر عليه أصحابه ما قال. وقالوا: قاتلك الله، نافقت فلم خرجت وهذا في نفسك؟ قال: خرجت لأصيب عرضًا من الدنيا(٣).

وقد سأل المنافقون رسول الله ﷺ السماح لهم بالخروج معه إلى خيبر لما أملوا من الغنائم، لكن رسول الله ﷺ لم يأذن لهم لأن غنائم خيبر كانت خاصة بمن ذهب مع رسول الله ﷺ إلى مكة معتمرًا وكان المنافقون حينئذ قد تخلفوا عنه، وقد وعد الله المؤمنين لما

---

(١) انظر: الطبري (١٠/١٤١) المجلد السادس، وابن كثير (٢/٣٦١).

(٢) غزوة بني المصطلق هي غزوة المريسيع كانت في شعبان سنة ست من الهجرة.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٣٠٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/١٥٦).

(٣) دلائل النبوية للبيهقي (٤/٦٠).

انصرفوا من الحديبية فتح خيبر، وجعل الله غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضًا عن غنائم أهل مكة فإنهم انصرفوا على صلح ولم يصيبوا منهم شيئًا. فلما رأى المنافقون أن الله وعد رسوله مغانم كثيرة عجلت له منها خيبر طلبوا الخروج قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١).

فالمخلفون هم الذين تخلفوا عن عمرة الحديبية سيقولون إذا انطلقتم إلى مغانم خيبر ذرونا نخرج معكم، بعد أن تخلفوا وقت محاربة الأعداء ومصابرتهم فأمر الله رسوله ألا يأذن لهم عقابًا لهم من جنس ذنبهم.

ومعنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي هكذا قال الله لنا أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية(٢).

ثانيًا: الفتن والشبهات:

سنة الله في عباده أن يمتحنهم ليعرف الصادق من الكاذب، فإذا جاءت الفتنة كانت سببًا في نفاق من كان إيمانه ضعيفًا، ومن أمثلة ذلك

---

(١) سورة الفتح، آية (١٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٦/٨٠) المجلد ١٣، والبغوي (٤/١٩٢)، وابن كثير (٤/١٩٠).

حادثة تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، فقد كانت اختبارًا وابتلاء من الله ومحنة امتحن الله بها الناس، وبعدها ارتد طائفة عن الإيمان قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١)، ومن هذه الفتن هزيمة المسلمين يوم أحد فإنه لما حصل ذلك ارتد طائفة ونافقوا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾(٢).

قال ابن تيمية: «قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ ظاهر فيمن أحدث نفاقًا، وهو يتناول من لم ينافق من قبل، ومن نافق ثم جدّد نفاقًا ثانياً»(٣).

ثم ذكر أن الذين انخذلوا يوم أحد مع عبدالله بن أُبي رأس المنافقين كانوا ثلاثمائة لم يكونوا قبل ذلك كلهم منافقين(٤).

وهذا حال الناس اليوم، إذا ابتلوا بالمحنة ينقص إيمانهم كثيرًا

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٢) سورة آل عمران، الآيتان (١٦٦ و١٦٧).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/٢٧٩).

(٤) المرجع السابق.

وينافق كثير منهم، وإذا انتصر الأعداء على المسلمين ارتدوا عن الإسلام، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ والشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت١٢٨٥هـ) ـ رحمه الله ـ في فتح المجيد حال من رأوه من هؤلاء الناس.

قال ابن تيمية: «وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم، إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان، ينقص إيمانهم كثيرًا، وينافق أكثرهم أو كثير منهم، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبًا، وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة، وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم، كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرسل باطنًا وظاهرًا، لكن إيمانًا لا يثبت على المحنة»(١).

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ معلقًا على كلام شيخ الإسلام: «ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو من إعانتهم العدو على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجهد في إطفاء نور الإسلام وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره والله المستعان»(٢)، ونحن كذلك رأينا في عصرنا عند غلبة أعدائنا ما فيه عبرة للمعتبرين وسنة الله ماضية إلى قيام الساعة.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨٠/٨).

(٢) فتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص (٤٧٧).

المبحث الخامس: أشهر صفات المنافقين إجمالاً:

المنافق في حقيقته كافر يحقد على الإسلام وأهله، ويكيد لهم، ويتمنى زوال دولتهم، وقد حذرنا الله منهم، وأخذ الحذر لا يمكن إلا بمعرفة صفاتهم لأنهم لا يعلنون كفرهم، ولكنهم يُعرفون بما يجري على فلتات ألسنتهم، وما يظهر من أفعالهم، وقد فضحهم الله سبحانه في أكثر من موضع من كتابه، وذكر أوصافهم فعرَّاهم وأخزاهم وقد كانت عامة السور المدنية يذكر فيها المنافقون(١). وكذلك رسوله ﷺ وصفهم وحذر منهم.

وصفات المنافقين تنقسم إلى قسمين:

أولاً: صفات تظهر في زمن السلم والحرب.

ثانيًا: صفات تظهر في أزمنة الحروب.

أما الصفات التي تظهر أزمنة السلم والحرب فأشهرها ما يلي:

١- الكذب.

٢- إخلاف الوعد.

٣- خيانة الأمانة.

٤- الفجور في الخصومة.

٥- موالاة الكفار، ومعاداة المؤمنين.

---

(١) قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر مجموع فتاواه (٧/٤٦٣).

٦- الكيد للمسلمين وخداعهم.

٧- الاستهزاء بالله وبرسوله وبالمؤمنين.

٨- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

٩- إظهار الإصلاح والحرص على المصلحة العامة، مع الإفساد في الأرض ومحبة نشر الفاحشة والزنى بين المؤمنين، والاهتمام بقضايا تحرير المرأة ونحوها لهذا الغرض.

١٠- إفساد الحرث والنسل.

١١- كثرة الحلف، وعامته كذب.

١٢- التحاكم إلى القوانين الوضعية، إلا إذا علم أن حكم الشرع معه.

١٣- التكاسل عن الصلاة.

١٤- قلة ذكر الله.

١٥- الاستكبار عن قبول الحق وعدم التوبة.

١٦- اعتدادهم بأنفسهم وازدراؤهم بالصالحين.

١٧- السفه وقلة العلم الشرعي.

١٨- البخل عن الصدقات.

١٩- حسن المظهر، وذلاقة اللسان، وزخرفة القول.

والصفات التي تظهر أزمنة الحروب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- صفات تظهر قبيل الحروب. وقد أفردت لها بحثًا مستقلاً.

٢- صفات تظهر أثناء الحروب. وهي موضوع هذا البحث.

٣- صفات تظهر بعد الحروب. وأفردت لها بحثًا مستقلاً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الثاني: **صفات المنافقين أثناء الحرب**

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الصفة الأولى الانسحاب من المعركة والرجوع.

المبحث الثاني: الصفة الثانية ظهور علامات الفرح عليهم بعد تخلفهم عن الحرب.

المبحث الثالث: الصفة الثالثة عدم المشاركة في القتال مع خروجهم مع الجيش، أو القتال قليلاً.

المبحث الرابع: الصفة الرابعة السعي بالفتنة بين جنود المسلمين لا يألونهم خبالاً.

المبحث الخامس: الصفة الخامسة تجريح القيادة، ونسبة ما يصيب المسلمين من سيئة لسوء تصرفها.

المبحث السادس: الصفة السادسة الخوف والجبن.

المبحث السابع: الصفة السابعة موالاة الكفار.

المبحث الأول: الصفة الأولى، الانسحاب من المعركة والرجوع:

المؤمن التقي الذي عقد قلبه على حب الله ورسوله إذا كان مع رسول الله ﷺ على أمر جامع يجمعهم من حرب حضرت، أو صلاة

اجتمع لها، أو تشاور في أمر هام، لا ينصرف حتى يستأذن رسول الله ﷺ أو قائد المسلمين بعده، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١)، أما المنافق فيتحين الفرص للتسلل والانسحاب لا يرجوا ثوابًا ولا يخاف عقاب الله المطلع على سرائره فهو في شك من دينه، وهذه الصفة وهي الانسحاب من المعركة متأصلة في المنافقين، تظهر واضحة قبل المعركة وأثناءها، وقد ذكر الله عنهم هذه الصفة وهي الانسحاب قبيل بدء المعركة في أكثر من موضع من كتابه، فقال تعالى واصفًا حالهم في معركة أحد لما انسحب عبدالله بن سلول رأس المنافقين ومعه ثلث الجيش من أتباعه قال سبحانه: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾(٢).

وفي غزوة تبوك تخلف كثير منهم قبل المعركة قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ

---

(١) سورة النور، الآية (٦٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٧).

بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (٤٢)
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ
ٱلْكَٰذِبِينَ (٤٣) لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن
يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)
۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا
وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
(٤٧) لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ
أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ (٤٨) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى
ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (٤٩) إِن تُصِبْكَ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ
وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾(١).

وفي سورة التوبة يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ (٨٦)
رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة التوبة، الآيات (٤٢-٥٠).

(٢) سورة التوبة، الآيتان (٨٦-٨٧).

وفي غزوة الخندق انسحب المنافقون ولم يشاركوا المؤمنين.

فإنه لما جاءت الأحزاب قرر رسول الله ﷺ حفر الخندق حول المدينة وعمل المسلمون معه في هذا العمل الشاق مع الخوف والبرد والجوع، وكان المنافقون يرجعون إلى بيوتهم بغير إذن رسول الله ﷺ ويُوَرُّون بالضعيف من العمل ويتسللون مختفين يعلمون أن عملهم هذا لا يحبه الله ورسوله، قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١)(٢).

يحذر الله عباده من دعاء الرسول عليهم إذا أسخطوه فإن دعاءه موجب لنزول البلاء، فليس دعاءه كدعاء غيره، ومن أسباب سخطه ﷺ الانصراف عنه في الأمر الذي يجمعهم، والله يعلم حال المنافقين الذين يخرجون في تستر وخفية منه ﷺ يستر بعضهم بعضًا ويروغ لواذًا عن نبي الله ﷺ وعن كتابه، وقيل يلوذ بعضهم ببعض، وقيل لواذًا من الصف. وفعلهم هذا وإن خفي على رسول الله ﷺ فإنه لا يخفى على الله فليتق الله من يفعل ذلك أن تصيبه فتنة فيطبع الله على قلبه فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه في الدنيا، أو يصيبه

---

(١) سورة النور، الآية (٦٣).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام (٣/٢٢٦)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/٤٠٩).

عذاب أليم في الآخرة(١).

وفي سورة الأحزاب يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾(٢)، وقد كان ذلك يوم الأحزاب حين ظهر النفاق، وكان المنافقون يستأذنون رسول الله ﷺ في الرجوع للمدينة ويتعللون بأعذار واهية، والشاهد هنا قوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي ما يريدون إلا الفرار والهرب من عسكر رسول الله ﷺ وهم لا يؤمنون بقضاء الله وقدره، ولا يعلمون أن الفرار لا ينفعهم، فما كتبه الله عليهم سينزل بهم لا محالة، سواء كان موتًا أو قتلاً، فإن من حضر أجله مات أو قتل، قال تعالى مبينًا سوء عقيدتهم واعظًا لهم: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٣)، وباستقراء الآيات من كتاب الله نجد أن أعذار المنافقين حين يتخلفون عن المعركة تتلخص في الأمور الآتية:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧٨/٨)، المجلد (١٠)، وتفسير البغوي (٣٥٩/٣)، وتفسير النسفي (١٢٩/٢)، وفتح القدير للشوكاني (٥٨/٤).

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان (١٢، ١٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (١٦).

١- عدم توقع حصول قتال(١).

٢- عدم مناسبة زمن القتال ككونه شديد الحر(٢).

٣- خوف الوقوع في الفتنة كالافتتان بنساء العدو مثلاً(٣).

٤- الضعف وعدم القدرة على القتال(٤).

٥- حاجة بيوتهم إليهم لعدم وجود من يحرسها من السُرَّاق(٥).

٦- الانشغال بالأهل والمال(٦).

ولأجل هذا يجب على قادة المسلمين في المعارك ألا يغيروا في حساباتهم إذا خرج معهم المنافقون بل يجب الحذر منهم والاستعداد لهم، فهم ليسوا قوة لهم، بل قوة في حساب عدوهم.

المبحث الثاني: الصفة الثانية: ظهور علامات الفرح عليهم بعد تخلفهم عن الحرب:

المؤمن الذي قد استقر الإيمان في قلبه، وخالطته بشاشته، يحزن إذا فاته شيء من الخير ويتحسر على ذلك، وقصة كعب بن مالك حين

---

(١) انظر الآية (١٦٧) من سورة آل عمران.

(٢) انظر الآية (٨١) من سورة التوبة.

(٣) انظر الآية (٤٩) من سورة التوبة.

(٤) انظر الآية (٩٣) من سورة التوبة.

(٥) انظر الآية (١٣) من سورة الأحزاب.

(٦) انظر الآية (١١) من سورة الفتح.

تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من الأمثلة على ذلك حيث ندم على تخلفه، يقول ـ ﷺ ـ : «كنت إذا خرجت في الناس ـ بعد خروج رسول الله ﷺ ـ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء»، ويقول: «فلما بلغني أنه توجه قافلاً ـ أي راجعًا ـ حضرني همي»⁽¹⁾، لكن المنافقين لشكهم في دينهم، وإيثارهم الدنيا على الآخرة، يفرحون إذا خرج المسلمون للجهاد ولم يخرجوا معهم، لظنهم بأنهم قد فازوا بهذا الاختيار.

قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾⁽²⁾.

وصف الله هؤلاء الذين تخلفوا عن غزوة تبوك التي كانت في شدة الحر وطيب الظلال والثمار، حيث فرحوا بتخلفهم عن الغزو مع رسول الله ﷺ والمؤمنين به، وجهاد أعدائه، فحساباتهم المادية تشعرهم بأنهم قد انتصروا بهذا الاختيار، فهم مسرورون، وهم في الحقيقة مخذولون خاسرون ثواب الله وجنته فكان الواجب عليهم الحزن لفوات الأجر.

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي (٨/١١٤).

(٢) سورة التوبة، الآية (٨١).

وتزداد فرحة هؤلاء المنافقين إن كان النصر للكفار، لما لله في هذا من حكمة الابتلاء، يفرحون بالنجاة وبما نال المسلمين من المصيبة، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾(١)، أي إن أصابتك مصيبة من قتل أو هزيمة يقولوا قد أخذنا حذرنا بالتخلف والقعود عن القتال، ويتولوا ويدبروا وهم فرحون مسرورون بهذا التخلف(٢).

المبحث الثالث: الصفة الثالثة: عدم المشاركة في القتال مع خروجهم مع الجيش، أو القتال قليلاً:

المنافقون الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، يريدون أن يستروا كفرهم بالخروج مع المسلمين للقتال، فقد يخرجون مع جيوشهم، كما أنهم يصلون معهم مع كسلهم وتخلفهم عن بعض الصلوات، ويصومون معهم، لكنهم بهذا الخروج لا يزيدون المؤمنين قوة لجبنهم وإفسادهم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣)، أي لو خرج فيكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون لم

---

(١) سورة التوبة، الآية (٥٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/١٥٠)، المجلد السادس، وتفسير البغوي (٢/٢٩٩).

(٣) سورة التوبة، الآية (٤٧).

يزيدوكم بهذا الخروج إلا فسادًا وضرًا(١).

وفي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٢)، أي أن المنافقين من خوفهم وهلعهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا عن القتال، وإن كانوا قد انصرفوا، وإن يرجع الأحزاب للقتال بعد ذهابهم يتمنى المنافقون أنهم كانوا في البادية مع الأعراب، لشدة خوفهم يسألون عن أخباركم وما آل إليه أمركم، ولو كانوا فيكم أي: لو كان هؤلاء المنافقون معكم ما نفعوكم وما قاتلوا المشركين إلا تعذيرًا، فيقولون: قد قاتلنا، وربما لا يكون هذا القتال إلا شيئًا يسيرًا كرميهم الكفار بالحجارة.

وقد ذكر ابن هشام وغيره أن رسول الله في غزوة الأحزاب ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ، وعمل المسلمون معه، فدأب فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يُورُّون ـ أي يستترون ـ بالضعيف من العمل(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/١٤٤)، المجلد السادس.

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢٠).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٢٦)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/٤٠٩).

وذلك لأن المنافقين لا يقاتلون إيمانًا واحتسابًا، بل رياءً وسمعة وبحثًا عما يقيمون به عذرهم. وهذا دليل جبنهم وذلتهم وضعف إيمانهم⁽¹⁾.

المبحث الرابع: الصفة الرابعة: السعي بالفتنة بين جنود المسلمين، لا يألونهم خبالاً والتجسس عليهم

الحرب النفسية من أقوى الأسلحة التي تضعف المقاتلين، ولهذا كان خروج المنافقين مع جند المسلمين ليس في صالحهم، بل هم عامل من عوامل إضعافهم، لما يفعلونه بالجند من تخذيل، وإضعاف للعزائم، وسعي بالنميمة، وتهويل للأمور، يقولون: قد جمع لكم عدوكم وفعل وفعل، أو: إنكم مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم لا محالة، قال تعالى عنهم: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾⁽²⁾، وقد كان ذلك في غزوة تبوك، يقول سبحانه: لو خرج المنافقون معكم للغزو لم يزيدوكم

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤٢/٢١)، المجلد ١١، وتفسير البغوي (٥١٨/٣)، وتفسير النسفي (٢٩٩/٣)، وفتح القدير للشوكاني (٢٦٩/٤).

(٢) سورة التوبة، الآيتان (٤٧، ٤٨).

بخروجهم إلا فسادًا، وضرًا وشرًا، واضطرابًا بإيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين، يخوفونهم بأعدائهم ويعظمون الأمور، فيخذلونهم ويضعفون شجاعتهم، ولأسرع المنافقون في الدخول بينكم بالتفريق والإفساد وإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ونقل الحديث يبغونكم الفتنة: أي يطلبون لكم ما تفتتنون به يقولون: إنكم مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم ونحو ذلك.

وقيل معنى الفتنة: العنت والشر، وقيل: الكفر. قال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي مطيعون لهم يستمعون كلامهم ويطيعونهم، لو صحبوكم أفسدوا عليكم بتثبيط الناس عن السير معكم، وقيل معنى سماعون: جواسيس لهم يخبرونهم بما يسمعون منكم، ومن العلماء من رجح القول الأول وهو أن معنى سماعون: مطيعون، بدليل قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾(١)، أي قابلون له، وأيد ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذا القول فقال: «ولم يكن في المؤمنين جواسيس للمنافقين، فإن المنافقين كانوا مختلطين بالمؤمنين ... ولم يكونوا متحيزين عنهم قد أرسلوا فيهم العيون ينقلون إليهم أخبارهم، فإن هذا إنما يفعله من انحاز عن طائفة ولم يخالطها»(٢).

---

(١) سورة المائدة، الآية (٤٢).

(٢) تفسير ابن القيم ص(٢٩٥).

والتأويل الثاني هو ما رجحه الطبري في تفسيره، فعنده أن المطيع يقال له سامع ولا تكاد تقول: هو له سماع مطيع(١)، فيكون عنده معنى سماعون: جواسيس. ثم وصف سبحانه المنافقين بأنهم ابتغوا الفتنة من قبل أي: طلبوا صد أصحابك عن دينهم، وردهم إلى الكفر، وخذلوا الناس عنك قبل هذا اليوم كما فعلوا يوم أحد.

وقلبوا لك الأمور، أي: أجالوا في إبطال الدين الذي جئت به، بتشتيت أمرك وتخذيل الناس عنك، وإنكار ما تأتيهم به، حتى نصرك الله وظهر الإسلام وهم كارهون.

ومن الأمثلة على ما يبثونه من شر وفساد أثناء الحرب:

أ - قولهم في غزوة بدر لما رأوا قلة المسلمين وكثرة الكفار أعدائهم، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك، قالوا: غر هؤلاء دينهم قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢)، أي غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد ﷺ دينهم، يريدون أن يوهنوا عزائم المقاتلين، ويضعفونهم.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/١٤٦) المجلد السادس.

(٢) سورة الأنفال، الآية (٤٩).

ب ـ وفي غزوة الأحزاب لما كان المسلمون قلة محاصرين، كان رسول الله ﷺ يبشرهم بالنصر ويعدهم فتح بلاد فارس والروم، فقال ناس من المنافقين: كان محمد يعدنا فتح فارس والروم وقد حصرنا هاهنا حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾⁽²⁾ ولا يخفى ما في هذا القول من تكذيب رسول الله ﷺ والشك في نبوته وصدقه، وإذا صدر مثل هذا الكلام ممن يظهر الإسلام، ويمشي بين المسلمين الذين خرجوا لقتال أعدائهم أحدث بلبلة وفتنة بينهم.

وقد سمى الله ـ ﷻ ـ المنافقين المرجفين في المدينة، قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾⁽³⁾، فالذين في قلوبهم مرض: هم أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنى، والمنافقون أصناف فهؤلاء صنف منهم، مرضهم من أمر النساء.

---

(١) رواه ابن هشام في السير (٣/٢٥٧)، والطبري في تفسيره (٢١/١٣٣، ١٣٤) المجلد ١١، والواحدي في أسباب النزول (١٠١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/٤٠٢، ٤٢٠، و٤٣٥).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١٢).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٦٠).

والمرجفون في المدينة: هم أهل النفاق، الذين يرجفون برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، والإرجاف الكذب الذي نافقه أهل النفاق، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدة، ليوقعوا في الناس الرعب. فتوعدهم الله سبحانه لئن لم ينتهوا لنحرشنك عليهم فلا يسكنون المدينة معك، ملعونين على كل حال أخذوا وقتلوا تقتيلاً، إذا هم أظهروا النفاق(١).

المبحث الخامس: الصفة الخامسة: تجريح القيادة، ونسبة ما يصيب المسلمين من سيئة لسوء تصرفها:

وصف الله المنافقين بأنهم قوم إذا أصابتهم حسنة من خير أو نصر أو غنيمة قالوا: هذه من عند الله، وإذا أصابتهم سيئة كالهزيمة والقتل تشاءموا بمحمد ﷺ، وقالوا: هذه من عندك يا محمد، أسأت التصرف وأسأت النظر، ما أحسنت التدبير وما أصابنا من شر فهو بسبب اتباعنا لك، وإذا كانوا يقولون هذا لمحمد ﷺ ، فهم يقولونه لغيره من قيادات الجيوش بعده من باب أولى، وهم بهذا يلبسون على العوام، ويوهمون الناس بخلاف الواقع، ويجرحون القيادة ويحطمونها، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٧/٢٢)، وما بعدها ، المجلد (١٢)، وتفسير البغوي (٥٤٤/٣)، وتفسير النسفي (٣١٦/٣).

مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾(١)، وقد شابهوا في هذا قوم موسى ـ عليه السلام ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

والمنافقون دخلوا في الإسلام ظاهرًا، وإلا فهم كارهون له في نفس الأمر، ولهذا إذا أصابهم شر نسبوه إلى اتباعهم للإسلام، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أن رسول الله ﷺ ما جاء إلا بالخير والبركة والفلاح لمن آمن به واتبعه.

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن الحسنة والسيئة والنصر والظفر والقتل والهزيمة كل ذلك من الله دون محمد ﷺ ودون غيره، ولما كانت هذه المقولة من المنافقين ناشئة عن شك وريب، وعدم توكل على الله، وقلة فهم وعلم، وكثرة جهل، عيرهم سبحانه بهذا الجهل فقال: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ فهم لا يكادون يعلمون حقيقة ما تخبرهم به من أن كل ما أصابهم من خير أو شر فمن عند الله، ولا يصيب أحدًا شيء إلا بتقديره فإن مفاتيح الأشياء بيده لا يملك غيره شيئًا منها(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية (٧٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٣١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/١٧٤)، المجلد الرابع، وتفسير البغوي (١/٤٥٤)، وتفسير ابن كثير (١/٥٢٨).

وما أصاب هؤلاء المنافقين سببه أفعالهم وكفرهم وسوء عقيدتهم وقبح أعمالهم، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله، لكن المنافق يعبد الله على حرف قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾(١)، على حرف أي على شك، فإن أصابه خير وهو النصر والسعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا، اطمأن به واستقر على الإسلام، وثبت عليه، وإن أصابته فتنة وهو العذاب والمصيبة والضيق بالعيش وما يشبهه انقلب على وجهه أي: ارتد كافرًا(٢)، قال الحسن البصري: هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه(٣)، والمنافق حين ينسب الهزيمة إلى القيادة يكون قد تطير وأشرك، والطيرة هي: التشاؤم بمرئي أو مسموع ولا يكون إلا في قلوب أهل الشرك والعقائد الضعيفة الذين لا يجعلون توكلهم على الله، ولا يعلمون أن للكون إلهًا مدبرًا وأن ما أصابهم من الله وليس من قادتهم.

والتطير شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾(٤)، كما أن

---

(١) سورة الحج، الآية (١١).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٧/١٢٢)، المجلد العاشر.

(٣) تفسير البغوي (٣/٢٧٧).

(٤) سورة الفاتحة، الآية (٥).

تطيرهم هذا وتشاؤمهم بقادتهم من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته(١).

المبحث السادس: الصفة السادسة، الخوف والجبن:

المنافق لا يؤمن بالله حقيقة، فلا يقاتل في سبيله يرجو النصر أو الشهادة، بل يقاتل تعذيرًا يستر كفره ليأمن من العقاب، ويطمع في الغنائم، فهو يحب الدنيا وملذاتها ويكره الموت، ولهذا كان من صفاته إذا جاءت الحرب الخوف والجبن، قال تعالى واصفًا حالهم في غزوة الخندق: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢)، أي أن هؤلاء المنافقين إذا جاءت الحرب ظهرت علامات الخوف بادية على وجوههم تدور أعينهم. فهم عند الناس جبناء إذا حضر القتال هابوا الهلاك هيبة من لا يرجو ما بعده.

ثم بين سبحانه أنهم يظنون أن القبائل التي تجمعت لغزو

---

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد لعبدالرحمن بن قاسم (٢١٢)، والقول المفيد لمحمد بن صالح العثيمين (٩٣/٢).

(٢) سورة الأحزاب، الآيات (١٨، ١٩، ٢٠).

رسول الله ﷺ وأصحابه لم ينصرفوا، وذلك لشدة خوفهم وجبنهم، وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب: أي وإن ترجع هذه الأحزاب إليهم للقتال بعد أن ذهبوا يتمنى المنافقون لو كانوا في البادية مع الأعراب جبنًا وهلعًا وخوفًا من القتل، يسألون عن أخباركم هل هلك محمد وأصحابه، يتمنون أن يسمعوا أخبارًا بهلاك المؤمنين(١).

المبحث السابع: الصفة السابعة، موالاة الكفار:

موالاة الكفار صفة متأصلة في نفوس المنافقين لا تنفك عنهم لحظة، ولو لم يكن من صفات المنافقين إلا هي لكفت لمعرفتهم. وأصل الموالاة: إظهار المودة بالأقوال والأفعال.

وهي عند العلماء: متابعة غير المسلمين، ومحبتهم، والميل إليهم، وما يتبع ذلك من نصرتهم ومصاحبتهم، ومصادقتهم، ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم (٢).

وقد قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله»(٣).

---

(١) انظر: الطبري (١٤٢/٢١)، المجلد (١١)، والبغوي (٥١٨/٣)، وتفسير النسفي (٢٩٨/٣)، وفتح القدير للشوكاني (٢٦٦/٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٧١/١).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢١٥/١١)، والطيالسي ص(٥٠)، والحاكم في المستدرك =

والموالاة محرمة بالإجماع، ومن تولى المشركين فهو مشرك. وقد أوجب الله سبحانه معاداة الكفار وأكد إيجابها، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم الشرك⁽¹⁾.

ولما كان قلب المنافق مملوءًا بحب الكافرين لم نجد فيه أي محبة المؤمنين إذ كيف يجتمع في قلبه حبهم وحب من يخالفهم في كثير من الأمور قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾⁽²⁾ فعلم بهذه الآية أن المنافقين هم أشد الناس ولاء للكفار وتشبهًا بهم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية عندما تحدث عن الرافضة وأنهم أكثر الطوائف نفاقًا ذكر أن كثيرًا منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من موادّته للمسلمين. ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم، ببلاد خرسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين،

= (٤٨٠/٢)، وصحح إسناده وخالفه الذهبي، ونحوه عند الإمام أحمد في مسنده (٢٨/٤)، والحديث حسنه الألباني في الصحيحة (٧٣٤/٢).

(١) بيان النجاة والفكاك لحمد بن عتيق ص(٢٥٧ و ٢٦٠).

(٢) سورة النساء، آية (١٣٨، ١٣٩).

ووزير بغداد المعروف بالعلقمي(١) هو وأمثاله كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين،وكذلك الذين كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين. وكذلك النصارى الذين قاتلهم المسلمون بالشام كانت الرافضة من أعظم أعوانهم. وكذلك إذا صار لليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائمًا يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم(٢).

ومن صور موالاة المنافقين أعداء الله الكفار أثناء الحروب:

الاستحواذ على الكفار بترك قتالهم، أو بإفشاء أسرار المؤمنين إليهم.

يتودد المنافقون إلى الكفار، ويمنون عليهم دومًا بأنهم ينصرونهم

---

(١) هو محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب بن العلقمي، البغدادي، الرافضي، وزير للخليفة العباسي المستعصم بالله، وكانت دولته أربع عشرة سنة فأفشى فيها الرفض، فعارضه أهل السنة وأُكبت. فحقد عليهم، ورأى أن هولاكو ملك التتار يقصد العراق فكاتبه، وقوى عزمه على قصد بغداد عاصمة الخلافة، واجتهد في صرف الجيوش عن بغداد فلم يبق فيها إلا عشرة آلاف بعد أن كانوا مئة ألف. فدخل هولاكو بغداد فأفسدها وقتل أهلها ومنهم الخليفة المستعصم وكان سنيًا على مذهب السلف لكن فيه لين وعدم تيقظ، وأذل ابن العلقمي وأذاقه الهوان، فمات غمًا وغبنًا وحزنًا بعد هذه الحادثة بثلاثة أشهر عام ٦٥٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦١/٢٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٩٦/١٣).

(٢) مختصر منهاج السنة لابن تيمية اختصره عبدالله الغنيمان (١١١/١).

ويشاركونهم الحرب في الباطن ضد المسلمين، ويذكرونهم أنهم إذا جاءت الحرب تركوا القتال فلم يخرجوا مع المسلمين، أو انسحبوا قبل بدء القتال، وأنهم إن خرجوا مع الجند أبقوا علاقتهم وثيقة وطيدة مع الكفار حيث تدوم بينهم المراسلات يخبرونهم فيها بحال المسلمين، وقد ذكر الكلبي أن قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾⁽¹⁾، نزلت في المنافقين عبدالله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية⁽²⁾.

وقد ذكر الله هذه الصفة عنهم أيضًا في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾⁽³⁾، يصف الله المنافقين الذين ينتظرون بالمسلمين الدوائر فإن كان للمسلمين نصر وغنيمة قالوا: ألم نكن على دينكم فاجعلوا لنا نصيبًا من الغنيمة، وإن كان

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٢٨).

(٢) أسباب النزول للواحدي (١٠٢)، وانظر مزيدًا من الآثار في ذلك عند الطبري في تفسيره (٣/٢٢٨)، المجلد الثالث.

(٣) سورة النساء، الآية (١٤١).

للمشركين نصيب: أي ظهور على المسلمين قالوا للكافرين: ألم نبين لكم أنا معكم على ما أنتم عليه، ألم نخبركم بعورة محمد ﷺ وأصحابه، ونطلعكم على سرهم ونستحوذ عليكم والاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة: أي نحن دفعنا عنكم صولة المؤمنين بتخذيلهم عنكم، ومراسلتنا إياكم بأخبارهم فنحن ساعدناكم في الباطن يتوددون بهذا إلى الكفار ويصانعونهم كما توددوا إلى المسلمين لما غلبوا منهم يصانعون هؤلاء وهؤلاء لضعف إيمانهم(١).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الخاتمة:

الحمد لله الذي أعان على إتمام هذا البحث بمنه وكرمه، وقد كان من نتائجه وتوصياته:

١- بيان خطورة النفاق، والتحذير منه.

٢- أهمية أخذ العبرة من التاريخ ففيه بيان كيد هؤلاء المنافقين، وتعاونهم مع أعداء المسلمين وكثرة هذه الوقائع تدل على كثرة من يغتر بهم من المسلمين.

٣- تحذير قادة المسلمين، وقادة جيوشهم في كل زمان ومكان

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٣٢/٥)، المجلد الرابع، والبغوي (٤٩٢/١)، وتفسير النسفي (٢٥٧/٢)، وابن كثير (٥٦٨/١)، وفتح القدير للشوكاني (٥٢٦/١).

من المنافقين، ولو كان من سبقنا يعلم كيد المنافقين الذي حل بهم ما قربوهم ولا تابعوهم، والحكمة تستدعي أخذ العظة من التاريخ.

٤- وضوح صفات المنافقين أزمنة الحروب، وهذا من رحمة الله سبحانه، فالحاجة لمعرفتهم أزمنة الحروب تشتد ليحذر منهم تحقيقًا لمصلحة البلاد والعباد.

٥- على قادة جيوش المسلمين، وأفرادهم أن يعلموا أن المنافقين الخارجين معهم للقتال قوة لا يقام لها وزن، بل هي قوة لحساب أعدائهم، والخيانة متوقعة منهم.

٦- أهمية تدريب جند المسلمين على مواجهة كيد المنافقين وشبهاتهم، والاستعداد لها ومحاربتها، وهذا أعظم من الاستعداد بالأسلحة المادية.

٧- المنافقون يتعاونون مع جميع أعداء المسلمين وتعاونهم مع اليهود وموالاتهم أشد، وهذه من أوضح الصفات التي يعرف بها المنافقون.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم